

الفصل في الملل والأهواء والنحل

الكلام على من ينكر النبوة والملائكة .

قال أبو محمد B ذهبت البراهمة وهم قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهند ويقولون أنهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم قديم ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا أنهم أنكروا النبوات . وعمدة احتجاجهم في دفعها أن قالوا لما صح أن D حكيم وكان من بعث رسولا إلى من يدري أنه لا يصدقه فلا شك في أنه متعنت عاith فوجب نفي بعث الرسل عن D لنفي العبث والعنت عنه .

وقالوا أيضا أن كان D تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان فقد كان أولى به في حكمته واتم لمراذه أن يضطر العقول إلى الإيمان به قالوا فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضا ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع . وأما نحن فنقول أن مجيء الرسل عندهم قبل أن يبعثهم D تعالى واقع في باب الإمكان وأما بعد أن يبعثهم D ففي حد الوجوب ثم أخبر الصادق عليه السلام عنه تعالى أنه لا نبي بعده فقد جد الإمتناع ولسنا نحتاج إلى تكلف ذكر قول من قال من المسلمين أن مجيء الرسل من باب الواجب واعتلالهم في ذلك بوجوب الإنذار في الحكمة إذ ليس هذا القول صحيحا وإنما قولنا الذي بيناه في غير موضع أنه تعالى لا يفعل شيئا لعله وأنه تعالى يفعل ما يشاء وان كل ما فعله فهو عدل وحكمه أي شيء كان .

فيقال وبا D التوفيق لمن احتج بالحجة الأولى من أن الحكمة تضاد بعثة الرسل وان الحكيم لا يبعث الرسل إلى من يدري أنه يعصيه انكم اضطرركم هذا الأصل الفاسد الحاكم إلى موافقة المانية على أصولها في أن الحكيم لا يخلق من يعصيه و من يكفر به ويقتل أولياءه وهم يقولون أن D تعالى خلق الخلق ليدلهم بهم على نفسه . ويقال لهم قد علمنا وعلمتم أن في الناس كثيرا يجحدون الربوبية والوحدانية فقولوا أنه ليس حكيما من خلق دلائل لمن يدري أنه لا يستدل بها .

فإن قالوا أنه قد استدل بها كثير .

قيل لهم وقد صدق الرسل أيضا كثير .

فإن قالوا أنه خلق الخلق كما شاء .

قيل لهم وكذلك بعث الرسل أيضا كما شاء فبعثته تعالى الرسل هي بعض دلائله التي خلقها

تعالى ليدل بها على المعرفة به تعالى وعلى توحيده .

ويقال لمن احتج بالحجة الثانية من أن الأولى به أنه كان يضطر العقول إلى الإيمان به إن هذا قول مردول مردود عليكم في قولكم إن D خلق الخلق ليدلهم بهم نفسه ووجدانيته فيلزمكم على ذلك الأصل الفاسد أنه كان الأولى إذ خلقهم أن لا يدعهم والاستدلال وقد علم أن فيهم من لا يستدل وأن فيهم من يغمض عليه الاستدلال فكان الأولى في الحكمة أن يضطر عقولهم إلى الإيمان به ولا يكلفهم مؤنة الاستدلال وأن يلفظ بهم ألقافا يختار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة .

قال أبو محمد Bه وملاك هذا كله ما قد قلناه في غير موضع من أن الخلق لما كانوا لا يقع منهم فعل الا لعلة ووجب بالبراهين الضرورية أن الباري تعالى بخلاف جميع خلقه من جميع الجهات وجب أن يكون فعله لا لعلة بخلاف أفعال جميع الخلق وأنه لا يقال في شيء من أفعاله تعالى أنه فعل كذا لعلة ولا إذ جاء الإنسان بالنطق وحرمه سائر الحيوان وخلق بعض الحيوان صائدا وبعضه مصيدا وباين بين جميع مفعولاته كما شاء فليس لأحد أن يقول